رابط المادة على منصة باحث

مجالس في تدبر القرآن

مجالس في تدبر القرآن |)440(تكملة قوله تعالى: وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد .. الآية

خالد السبت

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته ما زلنا ايها الاحبة اتحدث عما يستخرج من الفوائد والهدايات من قوله تبارك وتعالى بجملة ما خاطب به بني اسرائيل - 00:00:01

واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادعو لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وفومها وعدسها وبصلها قال اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير - 00:00:22

اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم. وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير الحق. ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون فقوله تبارك وتعالى - 00:00:39

اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم قلنا بان المقصود بذلك اي ادخلوا بلدا من البلاد او قرية من القرى تجدون فيها بغيتكم وطالبتكم من هذا الفوم والعدس والبصل والقفة وليس المراد به - 00:01:01

البلاد المعروفة وان كانت البلاد المعروفة بلاد مصر ذكرت في كتاب الله تبارك وتعالى وذلك في قول فرعون اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي وكذلك في قوله - 00:01:27

تبارك وتعالى عن قول يوسف صلى الله عليه وسلم لابيه واخوته ادخلوا مصر ان شاء الله امنين فعلى كل حال هنا قال اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم فان لكم ما سألتم ثم وضربت عليهم الذلة والمسكنة - 00:01:46

وباء بغضب من الله مطالب الدنيا قد تعطى لي من يحبه الله ومن لا يحبه قد تعطى لمن يكون ربه تبارك وتعالى غاضبا عليه ولعنته تلاحقه حيثما حل فذلك ليس هو المعيار - 00:02:10

برضا الله تبارك وتعالى ومحبته للعبد فالله عز وجل يقول من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم - 00:02:34

مشكورا كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا. يقول انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض بالرزق وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا الى غير ذلك من الايات التي يذكر فيها تفاضل الناس ويذكر فيها العطاء ويذكر فيها الطالبين - 00:02:59

فهذا كله يصير لهؤلاء وهؤلاء ويحصل التفاضل بين الناس فقد يكون العطاء ايضا لاعداء الله عز وجل اكثر مما يعطى من هذا الحطام لبعض اوليائه والله عز وجل يقول من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفي اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون. اولئك - 00:03:22

الذين ليس لهم في الاخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون فهذه كلها تدل على هذا المعنى فالعطاء الدنيوي لا يعني رضا الله تبارك وتعالى وهنا يقول لهم اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم. لكن - 00:03:48

وضربت عليهم الذلة والمسكنة كل هذا مع غضبه تبارك وتعالى ثم لاحظ هذا التعبير بالضرب ضربت عليهم الذلة والمسكنة فهو وصف لا يفارقهم ولا ينفك عنهم بحال من الاحوال وهذا كما ذكرنا من قبل - 00:04:12

يكون في ما يوجد في قلوبهم من الفقر وكذلك ما يلوح ويظهر عليهم من اثر الذل والمسكنة سواء كان الواحد منهم فقيرا ام كان غنيا ويؤخذ من ذلك ايضا ان هؤلاء لما كانوا بهذه المثابة - 00:04:38

الذل الذي ضرب عليهم بحيث صار ذلك وصفا لهم يلازمهم ملازمة تامة ان هؤلاء ليسوا مؤهلين ليه قتال اهل الايمان اذا قاتلوهم ايمانهم وعقيدتهم وتوكلهم على الله تبارك وتعالى فان هؤلاء الاذلاء - 00:05:01
الذين ضربت عليهم المسكنة ليسوا باهل لي الحربي وليسوا باهل لي النصر وانما هم اهل للخزي والهزيمة ولذلك لما ذكر الله المنافقين واليهود قال لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة او من وراء جدر بأسهم بينهم شديد - 00:05:29
تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى هذا كما ذكرنا في بعض المناسبات ان السياق في المنافقين والقول الاخر ان ذلك في المنافقين مع اليهود حيث تحالفوا ووعدهم عبدالله بن ابي بالنصر بان ينصرهم وان يدعو حلفاؤه اربعة الاف - 00:05:55
ليقفوا معهم في ذلك الحصار الذي حاصرهم به النبي صلى الله عليه وسلم اعني بني النضير فهذا على هذا القول يصدق على اليهود كما يصدقوا على المنافقين. لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة. لماذا - 00:06:16
لانهم ضعفاء جبناء فالمنافقون ما اوقعهم في النفاق الا الضعف ومبنى حال المنافقين على الكذب في احوالهم كلها واوصافهم اذا حدث كذب واذا وعد اخلف قيل للامام احمد رحمه الله كيف نعرف الكذابين؟ قال بمواعيدهم - 00:06:37
فهذا كذب بالميعاد واذا اؤتمن خان وهذا لون من الكذب في الامانة فحال المنافق تلتئم على وصف واحد وهو الكذب. فان مخالفة الظاهر للباطن اصل الكذب واساسه فمثل هذا الذي يكون بهذه الحال والكذب كما هو معلوم لا يكون الا من جبان ضعيف - 00:07:00
يضعف عن الثبات وقول الحق والصدق ولزوم ذلك فيلجأ الى التلون والكذب واخفاء ما في نفسه او اخفاء الحقيقة ولذلك البيئات التي يكثر فيها المهانة والضعف والذل والتربية على المهانة والذل يكثر فيها التلون - 00:07:27
اذى في البيئات والمجتمعات وتجد ذلك ايضا في الافراد الذي يربي اولاده تربية على العسف والقهر والشدة والغلظة وابتغاء الريبة بهم دائما الغالب ان هؤلاء الاولاد يصيرون في حال من - 00:07:53
التلون والكذب ومخالفة الظاهر للباطن والوان النفاق لضعفهم وجبنهم كذلك ايضا يؤخذ من قوله تبارك وتعالى وباء بغضب من الله رجعوا بغضب من الله المبائة هي المكان الذي يرجع اليه الانسان اذا تقلب في حاجاته - 00:08:13
كذلك الموضع الذي يتخذه الانسان للاقامة ونحو ذلك فليتبوأ مقعده من النار باء بغضب من الله. والذين تبوأوا الدار والايمان. يعني سكنوا واستوطنوا المدينة النبوية واستقر الايمان بقلوبهم اعتقدوا الايمان - 00:08:42
في هذا ايضا اثبات صفة الغضب لله تبارك وتعالى على ما يليق بجلاله وعظمته وكذلك ايضا تأمل قوله تبارك وتعالى ويقتلون النبيين بغير الحق بغير الحق. هذه يسمونها صفة كاشفة - 00:09:07
تأتي في كل مقام بحسبه فهنا في مثل هذا المقام هذا لبيان شناعة هذا الفعل بمعنى ان هذه الصفة غير مقيدة يعني لو انه قيل بان فلانا قد قتل فلانا - 00:09:29
قد يتساءل الناس هل قتله بحق او بغير حق لكن حينما يقتل نبي هذا لا يمكن ان يكون بحق اذا حينما يقال عن احد من الناس بانه قتل بحق هذه صفة مقيدة - 00:09:48
او بغير حق فهذه صفة مقيدة لانه قد يقتل بحق وقد يقتل بغير احق لكن الانبياء لا يمكن ان يكون قتلهم بحق فصارت هذه الصفة صفة كاشفة تبين عن حقيقة ثابتة - 00:10:07
ولا تقيد الموصوف ويقتلون النبيين بغير الحق كما يقول الله تبارك وتعالى ومن يدعو مع الله الها اخر لا برهان له به هل يمكن ان يدعو احد مع الله الها اخر له فيه برهان - 00:10:24
لا يمكن فهذه يقال لها صفة كاشفة تكشف الحقيقة ويشبه هذا قوله تبارك وتعالى يكتبون الكتاب بايديهم هو يكتب بيديه هذه صفة كاشه لتثبيت الجرم وانت كتبته بيدك يقولون بافواههم يقول بفيه. لاثبات - 00:10:46
هذا الجرم عليهم لكن احيانا يكون لبيان ملحظ اخر وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم هنا يمكن ان يكون لتسجيل هذا الجرم عليهم ويمكن ان يكون ايضا لملحظ اخر وهو ان هذا القول لا يجاوز الافواه - 00:11:07

هذا الافك الذي قالوه عن ام المؤمنين رضي الله عنها ليس له حقيقة او نصيب من الحقيقة في الخارج انما هو شيء لا يجاوز الافواه وهكذا في قوله تبارك وتعالى ولا طائر يطير بجناحيه - 00:11:27

الا امم امثالكم ولا الطائر يطير بجناحيها الطائر يطير بجناحيه لا يطير برجله فمثل هذا يكون من قبيل الصفة الكاشفة لتحقيق الموصوف او لتحقيق الامر او لتحقيق الخبر او المخبر عنه او نحو ذلك - 00:11:45

ثم ايضا في قوله تبارك وتعالى ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون لاحظوا الان الله تبارك وتعالى اخبر عنهم بانهم ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله لماذا ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله هذا السبب الاول - 00:12:06

الثاني ويقتلون النبيين بغير الحق ثم قال ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون فهذا يسمونه الف والنشر اللف يدمج قضيتين او اكثر يطوي الكلام طيا ثم بعد ذلك يذكر احكاما تليق بكل واحد من المذكورات - 00:12:34

فان كانت الاحكام المذكورة او القضايا المذكورة المتعلقة به مرتبة بحسب ترتيب الاول فهذا هو اللف والنشر المرتب وان كان ذلك ليس بترتيب الاول فهذا الذي يسمونه باللف والنشر المشوش - 00:12:59

فلاحظوا هنا ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. قبل قال يكفرون بايات الله فهذا الاول ويقتلون النبيين بغير الحق لاحظ الان يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ثم قال ذلك بما عصوا وكانوا - 00:13:18

يعتدون. فالعصيان يناسب المذكور اولا ذلك بما عصوا يناسب الكفر كانوا يعتدون يناسب قتل النبيين بغير الحق هذا لف ونشر ذكر قضيتي اجمل قضيتي ثم ذكر احكاما تتصل بهما. جاءت هذه الاحكام مرتبة بحسب ترتيب الاول. اليس كذلك - 00:13:43

فهذا يسمى لف ونشر مرتب منهم شقي وسعيد ذكر الشقي اولا ثم السعيد ثم قال فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السماوات والارض الا ما شاء ربك - 00:14:07

ان ربك فعال لما يريد. واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ فهذا لف ونشر مرتب لاحظوا هنا انه لما قال ذلك بما عصوا - 00:14:27

وكانوا يعتدون. لم يعطف الاعتداء على العصيان يعني ما قال ذلك بما عصوا واعتدوا وانما قال وكانوا يعتدون هذا في مراعاة للفواصل اواخر الايات وايضا فيه امر اخر ليدل على ان الاعتداء صار كالشيء الصادر منهم دائما فعبر عنه بالمضارع وجيء - 00:14:44

الكون الماضي معه كانوا يعتدون فالعدوان يتجدد مستمر لا يتوقف في ذلك الوقت وبعده يعني حتى بعد ما ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله هم مستمرون على ما كانوا - 00:15:11

عليه فمن طبعهم العدوان والعصيان كذلك لاحظوا هنا في قوله تبارك وتعالى قضية تتعلق بالتعبير ملاحظة العبارات في العقيدة ادعو لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقفائها. تنبت الارظ. اضاف الانبات الى ماذا - 00:15:31

الى الارض ومن الذي ينبت على الحقيقة هو الله فاضاف ذلك الى موضعه وهذا لا اشكال فيه وبعض الناس يتحرج من هذا تقول مثلا انبت المطر الزرع لا اشكال ان تضيفه الى المطر باعتبار الاظافة الى - 00:15:58

السبب والله تبارك وتعالى هو الذي انبت النبات على الحقيقة فيصح ان يضاف الشيء الى الى سببه او الى موضعه وهذا دل عليه القرآن لكن ان يضاف الى شيء لا صلة له به - 00:16:18

مطرنا بنوء كذا فهذا من الالفاظ الشركية اصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بالكوكب واصبح من عبادي كافر بمؤمن بالكوكب فمن قال مطرنا بفضل الله وبرحمته فهو مؤمن بكافر بي - 00:16:35

الكوكب فمثل هذا على كل حال اه كذلك ما قد يقال احيانا بان مطرنا مثلا برياح شرقية مثلا آآ شمالية او برياح غربية جنوبية مثل هذا لا يضاف الى الرياح - 00:16:55

ثم ايضا مثل هذه الامور التي رتب الله عز وجل عليها ضرب الذل والمسكنة ونزول الغضب على هؤلاء كذلك ايضا من شابههم بمثل هذه الافعال فانه يناله من هذه العقوبات والاوصاف بقدر ما فيه من - 00:17:17

مشابهتهم قد ذكر شيخ الاسلام رحمه الله في جملة من كتبه من ذلك اقتضاء الصراط المستقيم باوله ثم بعد ذلك في ثناياه ذكر صورا كثيرة في البداية ذكر نحو ثمانية عشر - 00:17:44

لونا مما شابهت به هذه الامة اهل الكتاب الحسد والبغضاء والتفرق وهو حري بالمراجعة كلام جيد مفيد فلاحظوا اثار هذه العقوبات ضربت عليهم الذلة والمسكنة الذي يعصي الله تبارك وتعالى - 00:18:01

لا يكون عزيزا فالذل لا شك انه واقع به بقدر معصيته فطاعة الله تبارك وتعالى هي للعز الرفعة الحقيقية. واما المعصية فهي تدسي وقد خاب من دساها والتدسية يعني افسدها واتبعها هواها فيكون ذلك خفضا للنفس - 00:18:26

وقد تجد الرجل عنده المال الكثير او عنده لربما الرتبة الاجتماعية او عنده منصب ووظيفة مرموقة ولكنه غير مطيع لله عز وجل ترى الذل يلوح على وجهه فالله تبارك وتعالى لا يجعل - 00:18:56

العز لاهل معصيته من كان يريد العزة ما قال لي فانها لقريش او للاوس او للخزرج ان كان يريد العزة فان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فهذه العزة من يطلبها فهي - 00:19:17

لاهل الايمان لاحظ وصفنا وللمؤمنين والحكم المعلق على وصف يزيد بزيادته وينقص بنقصانه فبقدر ما عنده من الايمان يكون عنده من العز وكما قال الله تبارك وتعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين - 00:19:38

ايضا لاحظ هؤلاء اليهود في عتوهم وتمردهم وقلة صبرهم حيث طلبوا هذه الاطعمة التي هي ادنى بدلا من تلك المطعومات التي هي اعلى بدلا من المن والسلوى يريدون البصل والثوم والثوم وما اشبه ذلك - 00:19:59

فهؤلاء امعن بالتمرد على الله عز وجل واحتقار اوامره وشرائعه فكان الجزاء من جنس العمل فصاروا بهذه المثابة ضربت عليهم الذلة والمسكنة وهذا كثير في القرآن وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. الجزاء من جنس - 00:20:25

العمل ابراهيم صلى الله عليه وسلم لما اعتزل قومه ترك الاهل والوطن والعشيرة لله وفي الله عوضه الله من الذرية الصالحة ما تقر بهم عينه وكذلك ايضا بقول النبي صلى الله عليه وسلم في اهل الكبر - 00:20:52

انهم يكونون بامثال الذر كامثال الذر يطأهم الناس يوم القيامة ترفعوا وتعالوا وتعاظموا فصاروا بهذه المثابة ايضا لاحظوا ان هؤلاء ما ما هم فيه هؤلاء اليهود ولو كان بايديهم المال الكثير - 00:21:11

الا انهم اذلاء ضربت عليهم المسكنة فهم صاروا في فقر مستمر يطلبون الكثرة والزيادة بصورة دائمة فلا يشبع نهمتهم شيء انما هم دائما في حاجة وطلب لا يتوقف للمال دنيا وحطامها وهم احرص ما يكونون - 00:21:34

عليها فهؤلاء هذا الذي يقع في ايديهم سئموه وصار كالعدم ويبحثون دائما عما وراءه فصار هذا الحرص سجية لهم وعادة وبقي ذلك في اعقابهم كما يقول طاهر ابن عاشور رحمه الله - 00:22:00

كذلك ايضا تأمل قوله تبارك وتعالى ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون هذه المعاصي اين وصلت بهؤلاء الناس وصلت بهم الى محادة ربهم تبارك وتعالى وقتل الانبياء عليهم الصلاة والسلام فالمعصية - 00:22:26

تجر اختها ففي البداية غفلة ينشأ عنها صغيرة ثم تأتي بعد ذلك الكبيرة ثم بعد ذلك تأتي الاهواء والضلالات والبدع والكفر يجر بعضها بعضا فهؤلاء كيف كانت البدايات ثم كيف كانت النهايات - 00:22:50

قتل الانبياء. الكفر بايات الله وهم اولاد يعقوب عليه الصلاة والسلام والانبياء يسوسونهم فادمان المعاصي ايها الاحبة يفضي الى تشرب ذلك في النفوس حتى يصير ذلك الى حال يكفر صاحبها بربه تبارك وتعالى ويقتل رسله ويجترئ على امور عظيمة. ولذلك الانسان لا يتساهل - 00:23:15

قد يتساهل بنظرة قد يتساهل كلمة قد يتساهل بمعصية ثم بعد ذلك لا يملك قلبه. لان القلب يألف ذلك فتذهب عنه تلك الشفافية والوحشة التي تحصل للقلوب الحية ثم بعد ذلك يقع في الكبائر وهو يضحك - 00:23:48

يترك الصلاة وهو يضحك ولربما كان من اهل الاستقامة ولربما كان ممن يحفظ كتاب الله عز وجل مال جرح بميت ايلام. وقبل ذلك كان لو تأخر عن الصلاة تزع وتأثر - 00:24:12

حتى مات القلب وما عاد ذلك يؤثر فيه وترك الصلاة بالكلية ثم ايضا بقوله تعالى اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير هذا فساد الذوق ينبع عن فساد في العقل والفطرة - 00:24:29

يعني اذا تحولت الفطرة فسدت العقول ضعفت البصائر فصار الانسان يختار ما يضره يختار الامور القبيحة ويترك ما يكون فيه صلاحه ونفعه سواء كان ذلك في المطعوم او الملبوس او كان ذلك في - 00:24:52

النكاح خيار الزوجة او كان ذلك في اموره وشؤونه الاخرى من الرفقاء وغير ذلك والله المستعان تنتكس الفطر حتى يصير ذلك الى حال يعجب العقلاء منها كيف يختار الانسان لنفسه مثل هذا - 00:25:16

والله المستعان توقف عند هذا والله اعلم وصلى الله على نبينا محمد واله وصحبه - 00:25:37